اكتساب اللغة العربية كلغة ثانية عند الماليزيين

د. محمد سوكي عثمان
جامعة فترا الماليزية

الملخص

البحث عن اكتساب اللغة يتعلق بتعلم وتعليم اللغة الأجنبية أو اللغة الثانية بعد لغة الأم. وفي الحقيقة، أن اكتساب اللغة الثانية وقعت في العلاقات بين الطلبة والمعلمين بحيث إن المدرسين سيقودون الطلبة ويشجعونهم على فهم تلك اللغة فهما جيدا. وهناك أيضا من يكتسب اللغة الثانية من خلال عيشهم في بيئة تلك اللغة كالشخص الذي يسافر إلى بلد ما لأغراض معينة سوف يتعلم اللغة بالسهولة. وهناك بعض العوامل التي تساعد على اكتساب اللغة الثانية، منها الميول والرغبة في تلك اللغة وإمكانيات على تحصيل تلك اللغة. وذلك لأن السيطرة على اللغة المعينة تحتاج إلى التعرف على بعض الأشياء المتعلقة بتلك اللغة كالأساليب المستخدمة، وكيفية النطق الصحيح، والبيئة المحيطة لتلك اللغة وغيرها. وفي هذا المجال الضيق، أود أن أناقش عن اكتساب اللغة العربية كلغة ثانية عند الماليزيين مع العلم بأن دراسة اللغة العربية في ماليزيا قد بدأت منذ زمن قديم. وقد بدأت وزارة التربية الماليزية تدريس اللغة العربية رسمياً في نظام التعليم العام في 1977 حيث افتتحت لأول مرة 13 مدرسة ثانوية دينية وطنية. هذه المدرسة لها طابع متميز إذا قورن بالمدرسة الثانوية العامة. لهذه المدرسة نظام التعليم الداخلي الشامل توفر فيها سكن الطلبة إضافة إلى الإشراف الكامل والرعاية الشاملة من قبل المسؤولين. ومع ذلك، كيف يكون واقع مستوى الطلبة الماليزيين في اكتساب اللغة العربية؟. ولذا، هذه الورقة ستبحث عن المشكلات التي يواجهها الطلبة الماليزيين في اكتساب اللغة العربية وكيفية الحل على تلك المشكلات.

تمهيد

إن دراسة اللغة العربية في ماليزيا قد بدأت منذ أن دخل الإسلام إلى هذه البلاد. ولكن هذه الدراسة تنتشر وتسير لأول مرة في نطاق ضيق بين قليل من الملايويين الذين لديهم رغبة شديدة في التعرف على الإسلام وفهمه فهما جيدا ثم خطت خطوات أكثر توسعا وانتشارا بعمل إيجابي اتخذه بعض هؤلاء العلماء بافتتاح المدارس الدينية في بعض المدن تدرس فيها الكتب الإسلامية المكتوبة باللغة العربية.

وبعد مدة من دخول الملايويين في الإسلام كانوا يذهبون إلى مكة لأداء فريضة الحج وكان من بينهم يمكثون هناك سنوات معينة لدراسة اللغة العربية والثقافات الإسلامية. ثو بعد ذلك رجعوا إلى وطنهم لنشر تلك التعاليم إلى بقية إخوانهم، وهكذا تستمر دراسة العربية إلى عصرنا هذا.

ولا جدال فيه أننا نجد الآن أن اللغة العربية قد انتشرت انتشارا كبيرا في ماليزيا نتيجة فهم المسلمين وإدراكهم أن اللغة العربية هي اللغة الثانية لهم وهي لغة القرآن والدين. ونجد أنها تدرس في المساجد والمدارس والجامعات بالإضافة إلى أن كثيرا من المعلمين والمعلمات والعلماء قد تعلموا في البلاد العربية وتخرجوا في جامعاتها ثم عادوا إلى بلادهم وعلموا أبناء الوطن هذه اللغة.

لا نريد أن نطيل الكلام في هذه اللمحة السريعة عن مكانة اللغة العربية في ماليزيا وإنما سنتكلم الآن عن اكتساب اللغة العربية عند الماليزيين. وقبل أن ندخل إلى الموضوع بتفاصيله، يحسن بنا أن نتعرف على ماهية اكتساب اللغة مع العلم بأن اللغة العربية هي اللغة الثانية عند بعض الماليزيين في ماليزيا.

اكتساب اللغة الثانية

عندما نتكلم عن اكتساب اللغة الثانية فنحن سنتحدث عن تعليم وتعلم اللغة الأجنبية أو اللغة الانية بعد لغة الأم (د. هنري كونتور تاريكن؛ 1988:125). وعندما نتحدث عن قضية التعليم والتعلم فأذهاننا ستبادر إلى تصوير الفصول في المدارس وقاعات المحاضرات في الجامعات. وفي الحقيقة، أن اكتساب اللغة الثانية وقعت في العلاقات بين الطلبة والمعلمين بحيث إن المدرسين سيقودون الطلبة ويشجعونهم على فهم تلك اللغة فهما جيدا. وهناك أيضا من يكتسب اللغة الثانية من خلال عيشهم في بيئة تلك اللغة كالشخص الذي يسافر إلى بلد ما لأغراض معينة سوف يتعلم اللغة بالسهولة.

اكتساب اللغة الثانية يكاد أن يكون كاكتساب لغة الأم لدى الأطفال إذ علينا أن نتعلم كيفية تعلم اللغة عند الأطفال. فالطفل في اكتساب اللغة يحاول اكتشاف البيئة من حوله وتكوين المفاهيم وتعلم اللغة في الوقت نفسه. والطفل أيضا يحيط به مجتمع الأسرة يتكلمون من حوله طوال اليوم فسرعان ما يتعلم التكوينات الصوتية التي تلبي حاجاته وتكفيه ما يريد. والطفل في صغره وعند بداية نطقه نطق ألفاظا معدودة يتم تشجيعه حتى ولو كان فيها بعض الخطأ، وبالتدريج يجد نفسه قادرا على الاتصال بغيره معبرا عن حاجاته وانفعالاته.

وهناك بعض العوامل التي تساعد على اكتساب اللغة الثانية منها الميول والرغبة في تلك اللغة وإمكانيات على تحصيل تلك اللغة. وذلك لأن السيطرة على اللغة المعينة تحتاج إلى التعرف على بعض الأشياء المتعلقة بتلك اللغة كالأساليب المستخدمة، وكيفية النطق الصحيح، والبيئة المحيطة لتلك اللغة وغيرها.

وفي هذا المجال الضيق، نود أن نباشر إلى مناقشة عن اكتساب اللغة العربية كلغة ثانية عند الماليزيين. وقبل ذلك لا بد لنا أن نتكلم قليلا عن العوامل التي تساعد على دخول واستخدام اللغة

العربية في ماليزيا. وكا عرفنا أن من أهم الوسائل المعينة على اكتساب اللغة العربية في ماليزيا هي تدريس وتعليم اللغة العربية في المدارس والجامعات. ولذا، نحب أن نتكلم في ذلك الموضوع كي يتضح لنا مدى تأثره في اكتساب تلك اللغة الثانية.

تعليم اللغة العربية في ماليزيا

وقبل كل شيء نرغب في تكلم عن تطوير اللغة العربية في ماليزيا تطورا رسميا. بدأت وزارة التربية بتدريس اللغة العربية رسميا في نظام التعليم العام في سنة 1977 حيث افتتحت لأول مرة 13 مدرسة ثانوية دينية وطنية. هذه المارس لها طابع متميز إذا قورن بالمدرسة الثانوية العامة. لهذه المدارس نظام التعليم الداخلي الشامل توفر فيها سكن الطلاب إضافة إلى الإشراف الكامل والرعاية الشاملة من قبل المسؤولين.

ويكون الهدف الخاص من إنشاءها إعداد الطلبة المتفوقين علما وثقافة وأدبا ومهارة. هذا بالإضافة إلى تكثيف العناية بالتربية الإسلامية أسلوبا وعملا. أصبحت اللغة العربية مادة أساسية في هذه المدارس. ومن الشروط الأساسية للالتحاق بها أن يكون الطالب قد أتم المرحلة الابتدائية بتفوق خصوصا في تلاوة القرآن الكريم والكتابة الجاوية.

المتتبع لحركة تعليم اللغة العربية في ماليزيا الآن يلاحظ أن القائمين على تعليم اللغة العربية لا يتفقون حول هذه القضية (د. عارف كرخي أبو خضيري؛ 1993: 7-10) . وهم في هذا فريقان: الفريق الأول يعامل اللغة العربية معاملة لغة الأم، فيدرسها للماليزيين كما تدرس العربية في بلاد العرب. وأما الفريق الثاني، وتمثله فئة قليلة من الذين جمعوا بين التعليم الأزهري والتعليم الغربي وتأثروا بالثقافة الإنجليزية، فيدعو أصحابه إلى تدريس العربية كلغة أجنبية.

وبالرغم من حسن نية الفريقين، ورغبتهما الصادقة في تعليم العربية، ونشرها في البلاد، بوصف كونها لغة القرآن والدين الإسلامي، فإنهما قد أخفقا في فهم طبيعة اللغة العربية وعلاقتها بالدارسين الماليزيين.

فكما أنه ليس من المقبول أن تدرس اللغة العربية في ماليزيا كما تدرس كلغة الأم للطلاب العرب في المدارس والجامعات العربية، فإنه ليس من الصواب فيه أيضا أن تدرس هذه اللغة هنا كلغة أجنبية. إنما الأقرب إلى الصواب من وجهة نظرنا، أن تعد هذه اللغة العربية لغة ثانية، ثم تعلم على هذا الأساس لا غير.

والآن لنرى ما هي الطرق المستخدمة في تدريس اللغة العربية في المدارس الثانوية الوطنية الدينية في ماليزيا. الطرق المستخدمة في تدريس اللغة العربية في المدارس بماليزيا هي:

1-طريقة الترجمة

2-الطريقة المباشرة

3-طريقة القراءة

4-الطريقة السمعية الشفوية

5- الطريقة الانتقائية

6-الطريقة الاتصالية

إن طريقة الترجمة أو طريقة الترجمة والقواعد طريقة قديمة لم تقم في البداية على أساس من فكر أو نظر معين أي لم ترتبط بأحد المفكرين في ميدان اللغة أو ميدان التربية، ولكنها ترجع بجذورها إلى تعليم اللغة اللاتينية واللغة الإغريقية حيث استخدمت لفترة طويلة في تعليم هاتين اللغتين عندما كان التحليل المنطقي للغة وحفظ ما بها من قواعد وشواذ، وتطبيق ذلك في تدريبات للترجمة. هذه الطريقة إذن تقف

بأهدافها عند حد حفظ وفهم قواعد اللغة، والتعبير بأشكال لغوية تقليدية وتدريب الطلاب على كتابة اللغة بدقة عن طريق التدريب المنظم في الترجمة من لغته إلى اللغة المتعلمة.

أما الطريقة المباشرة فهي قد نقدت طريقة الترجمة التي تعني بالجوانب المكتوبة للغة فحسب، وارتفعت أصوات تنادي بإصلاح تعليم اللغات الأجنبية وبالذات في المدارس الثانوية. ونتج عن ذلك الاهتمام بالكيفية التي يتعلم بها الطفل اللغة الأم ومن ثم تطوير مبادئ لتعليم اللغات الأجنبية مبنية على الاهتمام بمهارة الكلام وتشجيع الدارسين على استعمال اللغة الأجنبية في الفصل مع التركيز على النطق السليم واستعمال الوسائل السمعية والبصرية لبلوغ ذلك الهدف. أما الطرق التي أدت إلى ظهور هذه الطريقة فهي ثلاثة: أ- الطريقة النفسية أو السيكولوجية، ب- الطريقة الصوتية، ج - الطريقة الطبيعية.

وبالنسبة إلى طريقة القراءة لقد شاعت بعد أن ظهرت بعض الكتابات التي تتناول مدى الارتباط بين تعليم اللغة والوقت المخصص له. ولقد قررت هذه الكتابات أن أهداف تعليم اللغة كلغة أجنبية ينبغي أن تكون محدودة بالشكل الذي يمكن معه تحقيقيا من خلال الوقت المخصص لذلك. كما أشارت هذه الكتابات إلى أن الهدف الذي يمكن تحقيقه عندما نخصص لتعليم اللغة فترة زمنية تحدد بعامين هو تنمية القدرة على القراءة. وفي ضوء هذا بدأت حركة مراجعة لأهداف تعليم اللغات الأجنبية وصار ينظر إلى القراءة باعتبارها من أهم المهارات التي يجب أن يحصلها التلاميذ وأن يكون قادرا على القراءة المستقلة بعد الانتهاء من دراسته ومن ثم أصبحت القراءة هي الهدف الرئيسي لهذه الطريقة.

وأما الطريقة السمعية الشفوية فهي قد انتشرت انتشارا واسعا في أوروبا وأمريكا لأنها كانت تعتبر تطورا هائلا في مجال تعليم اللغة الأجنبية وذلك لما كان لها من أثر في تطوير الأساليب الفنية لتدريس اللغة الأجنبية ولكن سرعان ما فتر الحماس لها عندما طبقت بصورة عملية في المدارس الثانوية وتبين أن الطلاب يحتاجون ما بين ست إلى تسع سنوات لإتقان الكلام بهذه الطريقة وهي مدة أطول ما تستغرقه الدراسة النظامية في هذه المرحلة الثانوية. واتضح أيضا أن تدريس مهارة الكلام بكثافة أمر لا يناسب

المدارس الثانوية لأن مناهجها تتطلب تدريس مهارات أخرى تعين على اجتياز الامتحانات التحريرية التي تجري في نهاية هذه المرحلة من التعليم.

والطريقة الخامسة هي الطريقة الانتقائية. وهي استراتيجية في أسلوب تعليم اللغة الأجنبية التي ترى أن لكل طريقة تدريس مزايا تمكن الاستفادة منها كما ترى أنه لا يوجد طريقة واحدة تناسب جميع الأهداف وجميع الطلاب وجميع المعلمين وجميع برامج تعليم اللغة الأجنبية. ومن خصائص هذه الطريقة الهامة معرفة علم اللغة وعلم النفس إضافة إلى استعمال الطرق والعمليات والوسائل المتنوعة التي من خلالها يمكن تحقيق الأهداف.

وأما الطريقة الاتصالية فهي تتعلق بالتصال بين البشر. فالاتصال عملية أو طريقة التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص إلى شخص حتى تصبح مشاعا بينهما وتؤدي إلى التفاهم بين هذين الشخصين أو أكثر. وبذلك يصبح لهذه العمليات عناصر ومكونات ولها اتجاه تسير فيه، وهدف تسعى إلى تحقيقه، ومجال تعمل فيه ويؤثر فيها. إن مهارات أساسية للاتصال اللغوي هي: الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة. وبين هذه المهارات علاقة متبادلة.

بعد أن تمتعنا بطرق التدريس والتعليم في المدارس والجامعات في ماليزيا، نتوقع أننا نتساءل مدى اكتساب الطلاب على هذه اللغة العربية ومدى سيطرتهم على هذه اللغة المحبوبة مع العلم بأنهم قد درسوها بفترة من الزمان. للإجابة عل هذا السؤال، فعلينا أن نقوم بالبحث. إن مجال اللغة العربية واسع. فنحن عندما نتعلم أو نعلم اللغة العربية فلا بد لنا أن نهتم بأشياء التالية: النحو والصرف، والقراءة، والأدب والنصوص، والبلاغة، والتعبير، والإملاء والخط. ولذا، ننتهز هذه الفرصة الثمينة لنقدم لكم فرعا من فروع اللغة العربية ألا وهو الأسلوب والتعبير. فالأسلوب هو بداية الطريق ونهاية المطاف التي ينبغي لدارس التركيز عليه والانشغال به إذا أراد التمكن من اللغة العربية والبحر بها (انظر كتاب الأسلوب

لأحمد الشايب، وجماليات الأسلوب لفايز الداية، وطرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية لمحمود رشدي، وتعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق لحسن شحاتة).

الأسلوب

الأسلوب كما هو معروف في علم البلاغة نوعان، أحدهما الأسلوب الأدبي وثانيهما الأسلوب العلمي. والفرق بين الأسلوبين واضح وضوح الشمس يمكن الوقوف عليه بمجرد قراءة بعض فقراتهما.

إن القواعد العربية تسمح للتعبير عن فكرة واحدة بأساليب متعددة. ففكرة "انطلاق محمد" مثلا يمكن التعبير عنها بالأساليب الآتية:

1-محمد منطلق

2-محمد المنطلق

3-محمد ينطلق

4-ينطلق محمد

5-المنطلق محمد

وما سبق يمكننا القول بأن المراد بالأسلوب في المقام الأول هو التراكيب والصيغ الصرفية، كيف تركب الجملة وأين توضع الكلمات وهل تقدم أو تؤخر وكذلك الصيغ الصرفية، فهل هي فعل أو وصف مشتق أو غير ذلك. كما يعني الأسلوب أيضا كل ما به يظهر الفرق بين اللغة العربية واللغات الأخرى، فيشمل مثلا ما هو رائع من العبارات والأساليب وما هو جميل من الكلمات باعتبار سياقها وعلاقتها بالكلمات الأخرى وكذلك الكلمات المستخدمة بمعناها الصائب الدقيق بل كيفية

استخدام حروف الجر لاختلاف اللغات فيما بينها في هذا الأمر. وذلك كله انطلاقا من تفرقتنا بين أساليب اللغات، بأن نقول مثلا: الأسلوب الماليزي والأسلوب العربي.

واقع مستوى الطلبة الماليزيين في الأسلوب

وبعد إلقاء الضوء على أهمية الأسلوب نحب أن ننتقل إلى تلمس واقع الطلاب الماليزيين في الأسلوب. فنود أن نطرح عدة أسئلة بصراحة وهي: هل يستطيع الطلبة أن يكتبوا بلغة أسلوبها مستقيم صحيح؟، وهل المفردات التي يأتون بها في مقالتهم وحديثهم مفردات تستخدم لمعناها الصحيح وتوضع في مكانها الصائب اللائق بها؟ وهل بإمكانهم كتابة مقالة خالية من الأخطاء الأسلوبية في حالة افتراض خلوها من الأخطاء النحوية والصرفية؟ ألا يزالون متقيدين بالأسلوب الماليزي تقيدا يؤدي بهم إلى القيام بعملية الترجمة الحرفية من اللغة الماليزية إلى اللغة العربية عند الكتابة والكلام.

الإجابة على تلك الأسئلة سلبية ومتشائمة وتنذرنا بالمستقبل الكئيب. إننا دائما نسمع إلى الشكوى من ضعف الطلبة في اللغة العربية ولا سيما في الأسلوب سواء في المدارس أو الجامعات. والعبارات الآتية المنقولة عن مقالات الطلبة كافية لأن تنطق بصدق ما ندعيه الآن (انظر مت طيب فا ؛ 1993 : 57-58) :-

- *لو موجود الإيمان نجح المسلم*
- *سعى الحكومة لتقتل البطالة نجح، هذا يجعل البلاد الأمان وسليم عن الجرائم ويقتل النفس.*
- *إذا وصل وقت على فتح الصوم يأكل، بذلك الرائحة في الجسم من يعمل على الطعام.*

ولعل في ترجمة الطلبة لما يأتي من العبارات الماليزية إلى اللغة العربية عندما طلبوا بذلك ما يوضح اختلاف اللغتين في الأسلوب (مت طيب فا ؛ 1993 : 60) :

- *محمد ممباوا ساوداراث برسيار2 دكوالا لومفور*
- *محمد بارو ماسوق إسلام*
- *باغونن اين منلن بلنجا ساتو جوتا ريغضيت*
- *كران افابيلا تيدق اد تولوغ منولوغ مك روسقله نضارا*

ترجموها كما يأتي:-

- *حمل محمد أخاه للتجول في كوالا لمبور.*
- *محمد جديد دخل الإسلام.*
- *هذا المبنى يبتلع الإنفاق مليون دولار.*
- *لأن إذا غير موجود التعاون فجهنم البلاد.*

الخاتمة

مما لا يختلف فيه اثنان أن دراسة أي لغة من اللغات تقتضي من دارسيها بذل جهودهم الجبارة في دراسة جوانب كثيرة وأمور متعددة تتعلق بها. وكذلك اللغة العربية إذ ينبغي على الجهات المعنية أن تضعها في عين الاعتبار وتهتم بها اهتماما شديدا وتتخذ الاجراءات اللازمة عن طريق تضافر جهودها في سبيل إعلاء اللغة العربية في ماليزيا كلغة ثانية بعد لغة الأم.

المراجع

1. أحمد الشايب (1990) الأسلوب، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية
2. حسن شحاتة (1993)، تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق. لبنان: الدار المصرية اللبنانية
3. عارف كرخي (1993)، التقنيات الحديثة في تعليم اللغة العربية لغير العرب. جامعة ملايا
4. فايز الداية (1990)، جماليات الأسلوب. بيروت: دار الفكر المعاصر
5. مت طيب فا (1993)، الأساليب والتراكيب العربية. جامعة ملايا
6. محمود رشدي خاطر (1989)، طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية.
7. هنري كونتور تاريكان (1988)، فغاجرن فمراوليهن بهاس. اندونيسيا: فنربيت اغكاس بندوغ